خالد محمد القاضى

مولد أمة

« أضواء على خلق رسول الإنسانية »

مركز الراية للنشر والإعلام

سلسلة « كتاب الراية »
تصدر شهرياً عن مركز الراية

مركز الراية للنشر والإعلام
اسسها أحمد فكرى عام ١٩٩٤

اسم الكتاب : مولد أمة

المؤلـــــف : خالد محمد القاضى

كافة حقوق الطبع والنشر
هى ملك
لمركز الراية للنشر والاعلام

رقم الإيداع

٩٩/١٠٤٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

« وإنك لعلى خلق عظيم »

صدق الله العظيم

إهـــداء

والسـرور...

إلى

روح فضيلة العارف بالله

الشيخ محمد أحمد رضوان

تقديراً لاجتهاده المخلص

في السيرة النبوية العطرة

و

إلى توأم والدي الروحي الذي لم تلده أمه ...

المستشار محمد راشد متولي

أهدي هذا الكتاب ..

خالد

مقدمة

هذه مكة تستقبل وليداً رضى به أهلهـا وعمهـم البشـر والسـرور... يتيماً صاحبت ولادته إرهاصات وإشارات إلى أن أمة جديدة قد ولدت ، سيتغير بها وجه التاريخ وسترتفع بهـا الإنسـانية، وترقـى وتزخـر بـالعلوم والمعارف، بعد أن سيطرت عليها البداوة، وفشت فيها الأخلاق الذميمـة، وتمكنت من قلوبها الخرافات والأساطير، واستعبدتهم الأوثـان ومـا يحيـط بها من أوهام فدانوا بها وخضعوا لعادات وتقاليد وأخلاق غير مرضية بل كانت مردية.

فجاءت ولادة هذا اليتيم نوراً أضـاء حيـاتهم واهتـدت بـه أفئدتهـم، عاش بينهم في طهر ونقاء وصفاء.

ذالكم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ولـدت بولادتـه أمـة تخلت بقيادته عـن الفرقـة والشـتات والخصـام والاقتتـالَ إلى وحـدة تقـود وتسود.

جاء هذا المولود الكريم داعياً إلى الله على فترة مـن الرسـل فكـان دينـه الإسلام دعوة للسلام والرحمة والوئام، يشيع كل ذلك في أقواله وأفعاله، فهو دعوة لعطف الآباء على الأبناء وحث للأبنـاء علـى البر بالآبـاء حتـى تكـون الأسرة وحدة صالحة في المجتمع يقوى بها، ويشتد عوده، وترتفـع فيـه دعـوة الحق والعدل والتعاطف والتساند في الملات وفي العبادة. كانت دعوته إليهـا

رفقاً فالدين يُسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، وإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، كانت دعوته أمناً وأماناً، محذرة محرمة للغدر والخيانة، داعية إلى السلم والسلام والتسامح والصفاء فهو بأمته رؤف رحيم يخفف آلام المصابين، يعود المريض ويواسى الحزين ويأسو الجراح، فهو رفيق بالإنسان بل وبالحيوان، قال الله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (١)

ولقد تواصلت سيرته ومسيرته تتذاكرها أمته، فله فى كل ربيع مولد وعلى كل فم وقلم ذكر وفى كل قلب سليم مكان، كيف لا وذكره أمر من الله سبحانه وتعالى مقروناً باسمه جل وعلا، فهذه كلمة التوحيد التامة : (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول ا لله).

وهذا هو ربه كرمه وأمر بالصلاة عليه فقال : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) (٢)

جاء بالإسلام ديناً ألف به بين القبائل المتنازعة فكان ولادة أمة بعد الأيام المروعة والعادات المفزعة التى اتخذت من العرف دولة، ومن الجاهلية حضارة ومن الضعف قوة وغلبة وعزة.

كان أمياً علمه الله وأعز له إلا من حماية ا لله، قال تعالى : (والله يعصمك من الناس) (٣).

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٦

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧

لقد استجاب لدعوته صنوف من الناس اختلفت منهم الصفات والطباع، يختلفون فى الرأى ولكنهم عند الحق يلتقون وصدق الله.

وإن ميلاد سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كان مطلع النور للعالم وكان ميلاد أمة ودولة وحضارة.. فبدل شرك الناس توحيداً وظلمهم عدلاً وظلامهم نوراً وهداية فقد أرسله الله تعالى للناس كافة هادياً ومبشراً قال تعالى : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ۞ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً) [1] .

ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ذكى الله لسانه فقال : (وما ينطق عن الهوى) [2] وزكى الله قلبه فقال : (ما كذب الفؤاد ما رأى) [3] وذكى بصره فقال : (ما زاغ البصر وما طغى) [4] وزكاه كله فقال : (وإنك لعلى خلق عظيم) [5] وصدقت عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم إذ قالت : (كان خلقه القرآن) واستطاع صلى الله عليه وسلم بخلقه أن يغزو الأراضين فدانت له من أدناها إلى أقصاها.

---

(١) سوررة الأحزاب الآية ٤٥ و ٤٦

(٢) سورة النجم الآية ٣

(٣) سورة النجم الآية ١١

(٤) سورة النجم الآية ١٧

(٥) سورة القلم الآية ٤

وفى هذا الكتاب نلقى أضواء علـى خلـق رسـول الإنسـانية "محمـد" صلى اللـه عليه وسلم من خلال ثمانية فصول :

الفصل الأول : نسبه صلى اللـه علية وسلم وولادته ورضاعته.

الفصل الثانى : خلق الرسول صلى اللـه عليه سلم قبل البعثة.

الفصل الثالث : اشتراكه صلى اللـه عليه وسلم فى بناء الكعبة

الفصل الرابع : اختلاؤه فى غار حراء.

الفصل الخامس : محمد وآل بيته.

الفصل السادس : زهد محمد.

الفصل السابع : محمد وأصحابه.

الفصل الثامن : محمد وأعدائه.

وا لله أسأل أن يكون هـذا العمـل خالصـاً لوجهـه تعـالى، ومحبـةً فـى رسول اللـه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

خالد محمد القاضى

وكيل أول النيابة

بمكتب النائب العام

القاهرة فى ربيع الأول ١٤٢٠هـ

الفصل الأول

نسبه صلى الله عليه وسلم وولادته ورضاعته

١- هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن فزار بن معد بن عدنان. وعدنان من ولد إسماعيل نبى الله ابن إبراهيم خليل الله عليهم السلام.

وقد اختاره الله تعالى من أزكى القبائل وأفضل البطون وأطهر الأصلاب فما تسلل شئ من أدران الجاهلية إلى شئ من نسبه صلى الله عليه وسلم.

روى مسلم بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفانى من بنى هاشم).

٢- أما ولادته صلى الله عليه وسلم فقد كانت فى عام الفيل وهو العام الذى حاول فيه أبرهة الأشرم غزو مكة وهدم الكعبة فرده الله عن

ذلك بالآية الباهرة التى وصفها القرآن وكانت على الأرجح يوم الإثنين لإثنتى عشرة ليله خلت من شهر ربيع الأول.

٣- وقد ولد يتيما فقد مات أبوه عبد الله وأمه حاملة لشهرين فحسب فعنى به جده عبد المطلب واسترضع له - على عادة العرب إذ ذاك - امراة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت أبى ذؤيب.

وقد أجمع رواة السيرة أن بادية بنى سعد كانت تعانى إذ ذاك سنة مجدبة قد جف فيها الضرع ويبس الزرع، فما هو إلا أن صار محمد صلى الله عليه وسلم فى منزل حليمة واستكان إلى حجرها وثديها حتى عادت منازل حليمة من حول خبائها ممزعة خضراء فكانت أغنامها تروح منها عائدة إلى الدار شباعا ممتلئة الضرع.

٤- وقد حصلت أثناء وجوده صلى الله عليه وسلم فى بادية بنى سعد حادثة شق الصدر التى رواها مسلم [1] وتعد هذه الحادثة من ارهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل وقد رويت هذه الحادثة بطرق صحيحة وعن كثير من الصحابة، منهم أنس بن مالك فيما يرويه عن مسلم فى صحيحه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فضرعه فشق عن قلبه، فاستخرجه، فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من

---

(١) راجع قصة استرضاعه فى بادية بنى سعد وحز شق صدره فى سيرة ابن هشام ١/١٦٤ وأنظر صحيح ج١ ص ١٠١ و ١٠٢

ذهب لماء زمزم ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه. مرضعته - ينادون أن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو ممتقع اللون).

٥- ليست الحكمة من هذه الحادثة - والله أعلم - استئصال غدة الشر فى جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ لو كان الشر منبعه غدة فى الجسم أو علقة فى بعض أنحائه لأمكن إن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية، ولكن يبدو أن الحكمة هى إعلان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتهيؤه للعصمة والوحى منذ صغره بوسائل مادية ليكون أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته. إنها إذاً عملية تطهير معنوى ولكنها اتخذت هذا الشكل المادى الحى ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهى بين أسماع الناس وأبصارهم.

الفصل الثانى

خلق الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

١- كانت حياة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حياة فاضلة شريفة... لم تُعرف له فيها هفوة و لم تحص عليه فيها زلة.. لقد شب رسول الله يحوطه الله سبحانه وتعالى بعنايته ويحفظه من أقذار الجاهلية لما يريده له من كرامته... ورسالته حتى صار أفضل قومه مروءةً وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزهاً له وتكرماً.

٢- ولقد كان فى المجتمع العربى حنيفيون وحدوا الله ودعوا إلى توحيده وكان هناك كرماء أوفياء وكان هناك من عرفوا بالعفة وطهارة الذيل والبعد عن المآثم والتنزه عن الفواحش، ولكن كان عزيزاً جداً أن تجد فى هذه البيئة إنساناً جمع الله فيه كل هذه الصفات وغيرها مثل ما جمع فى النبى محمد صلى الله عليه وسلم. فقد كان يمتاز على كل من يعيشون فى بيئته بطابع خاص، لا يشاركه فيه غيره، هو طابع الكمال فى كل شئ، ذلك أن الله جلت قدرته تولاه منذ طفولته بالحفظ والصيانة

فعصمه من عبث الجاهلية وفسادها وطهره من أدرانها وخبائثها وكان صورة ماثلة للكمال... ونموذجاً حياً للفضيلة فى كل ما يأتى وما يدع... إذ كان شاباً فيه حماسة الشباب ودوافعه ونزعاته ولكنه لم يكن يتنزل إلى ما يتنزل إليه الشباب من عبث ولهو ولم يكن يرضى لنفسه أن يهبط إلى المستوى الذى يدنس الرجولة أو ينافى الكرامة.. كان فى مكة بيوت كثيرة للهو فيها الخمر والميسر وفيها الغناء والسمر وفيها العبث والمجنون وفيها كل ما يرضى جموح الشباب من لذة ومتاع، وكان للشباب فى تلك البيوت مآرب شتى تهفو إليها نفوسهم وتسعى لها أرجلهم إلا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقد عزف بطبعه عن كل ذلك وتعالى بنفسه عن مواطن الريبة ومواضع الخسة، فمارئى يوما قط لاهياً ولا عابثاً ولا أثماً ولا فاحشاً ولا معاقراً خمراً ولا قمراً [1]

ولامتدنسا فى نزوة من نزوات الشباب الجامحة كالجرى وراء الغيد الكواعب [2] بل كان سمته الجد والعفاف.

٣- قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن نفسه :

(ما هممت بشئ مما كانوا فى الجاهلية يعملونه غير مرتين.. كل ذلك يحول الله بينى وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمنى الله بالرسالة، قلت ليلة للغلام الذى يرعى معى بأعلى مكة لو أبصرت لى غنمى حتى

---

(١) قمراً : القمار.

(٢) العيد الكواعب : البنات الحسان.

أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال : أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا فقلت : ما هذا ؟ فقالوا عرس فجلست أسمع، فضرب الله على أذنى فنمت فما أيقظنى إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبى فسألنى فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة فأصابنى مثل أول ليلة، ثم ما هممت بعده بسوء) [1] صدق رسول الله.

فهذا الحديث يعبر عن حفظ الله لرسوله من كل سوء منذ صغره وصدر شبابه ونستطيع أن نستخلص منه حقيقتين :

الأولى : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان متمتعا بخصائص البشرية كلها وكان يجد فى نفسه ما يجده كل شاب من مختلف الميولات الفطرية التى اقتضت حكمة الله أن يجبل عليها لناس، فكان يحس بمعنى السمر واللهو، ويشعر بما فى ذلك من متعة وتحدثه نفسه لو تمتع بشئ من ذلك كما يتمتع الآخرون.

الثانية : أن الله عز وجل قد عصمه مع ذلك عن جميع مظاهر الانحراف وعن كل مالا يتفق مع مقتضيات الدعوة التى هيأه الله لها، فهى حتى عندما لا يجد لديه الوحى أو الشريعة التى تعصمه من الاستجابة لكثير من رغائب النفس، يجد عاصماً آخراً خفياً يحول بينه

---

(١) رواه ابن الأثير ورواه الحاكم عن على بن أبى طالب وقال عنه صحيح على شرط مسلم ورواه الطبرانى من حديث عمار بن ياسر.